خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٩ ذو القعدة ١٤٣٨ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن أمة محمد ﷺ أمة مرحومة، فمع كثرة الأمم من الجن والإنس -من لدن آدم عليه السلام إلى نبيّنا محمد ﷺ- فإن أمة محمد ﷺ موعودة بأن تكون نصف أهل الجنة، قال النبي ﷺ لأصحابه: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: «ألم ترضوا أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة».

الله أكبر يا عباد الله! أمتكم أمة مرحومة، وذلك أن ربنا الرؤوف الرحيم سبحانه وتعالى قد وسّع لأمة محمد ﷺ في طرق الجنة، ومن ذلك أنه جعل لها مواسم للخيرات، تعظم فيها الأعمال، وتكثر الحسنات.

ومن تلكم المواسم المباركات يا عباد الله: موسم يستعد المؤمنون هذه الأيام لاستقباله، وقد تعلقت قلوبهم ببيت ربهم سبحانه وتعالى، واشتقات إلى مناسكهم، إنه -يا عباد الله- موسم الحج إلى بيت الله الحرام.

وإن الحج -يا عباد الله- شجرة باسطة، ثمارُها كثيرة طيبة مباركة، فالحج -يا عباد الله- له فضائل كثيرة.

فمن فضائل الحج: أنه ركن من أركان الإسلام، ومن أعظم شعائر الإسلام، وأزكاها وأعلاها، يقول النبي ﷺ: «بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج».

ومن فضائل الحج يا عباد الله: أنه مِن أخصّ حقوق الله على عباده، وذلك لقول ربنا ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧].

ومن فضائل الحج يا عباد الله: أنه عبادة قديمة، حيث أذّن به أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام بأمر ربه ﷻ، وأسمع الله أذانه للناس، حيث قال الله عز وجل لأبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج:٢٧]، فأذّن إبراهيم عليه السلام، وأسمع الله أذانه الناس، واستجاب الناس لأذانه، فحجّت الأمم قبل أمة محمد ﷺ، وحج الأنبياء عليهم السلام، فحجّ إبراهيم عليه السلام إلى مكة، وثبت في الحديث أنه صلى في مسجد الخيف سبعون نبيًّا، والصلاة في مسجد الخيف لا تكون إلا في الحج يا عباد الله، وممّن علمنا أنه حج عينًا من الأنبياء: موسى عليه السلام، ويونس عليه السلام، وسيحجّ عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

ومن فضائل الحج يا عباد الله: أنه عبادة كلها منافع، فليس هناك شيء في الحج إلا وفيه منفعة يا عباد الله، لقول ربنا ﷻ: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٨].

ومن فضائل الحج يا عباد الله: أنه من أفضل الأعمال وأزكاها، ومن أعظمها أجرًا، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

وفي حديث ماعز رضي الله عنه أن النبي ﷺ سُئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حَجّة بَرَّة تفضل سائر العمل كما بين مطلع الشمس إلى مغربها»، أي أن ثواب الحج أعظم من ثواب سائر الأعمال كما بين المشرق والمغرب يا عباد الله.

ومن فضائل الحج يا عباد الله: أنه ينفي عن المؤمن الفقر والذنوب، فينفي عنه الشقاء، ويكون من السعداء، يقول النبي ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة».

ومن فضائل الحج يا عباد الله: أن الضعيف ينال به أجر الجهاد في سبيل الله، يقول النبي ﷺ: «الحج جهاد كل ضعيف»، وقالت أمنا عائشة رضي الله عنها لرسولنا ﷺ: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال ﷺ: «لا، لَكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور».

ومن فضائل الحج يا عباد الله: أن الحاج زائر، زائر لمن يا عباد الله؟ زائر لربّه، فأَكرِم به من زائر، وأَكرِم به من مَزُور، وإن الله عز وجل أكرم الأكرمين، فهو يكرم من زاره، ولذا قال النبي ﷺ: «الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»، فالحاج موعود من ربّه بأن يجيب دعاءه، وأن يعطيه سؤله.

ومن فضائل الحج يا عباد الله: أن كل عمل في الحج فيه ثواب عظيم، وأجر كريم، يقول نبينا ﷺ: «وأما خروجك من بيتك تَؤُمّ البيت الحرام، فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة»، وجاء في حديث آخر: «ويَرفع له درجة»، «وأما وقوفك بعرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا يباهي بهم الملائكة، فيقول: عبادي، جاءوني شُعثًا غُبرًا من كلّ فجّ عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج أو مثل أيام الدنيا أو مثل قطر السماء ذنوبًا غسلها الله عنك، وأما رميك الجمار فمدخور لك، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة حسنة، فإذا طُفتَ بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمّك».

ومن فضائل الحج يا عباد الله: أنه يهدم الذنوب السابقة هدمًا، ويغسل الحاج من ذنوبه غَسلاً، فإذا أتى الحاجّ بحجّه كما شرع الله عز وجل، وحرص على أن يكون حجّه مبرورًا، فإنه موعود بأن يعود من مكة ولا ذنب عليه أبدًا، يقول النبي ﷺ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»، أي أنه يرجع كالمولود الذي لا ذنب عليه.

فإذا أردت -يا عبد الله- إذا أردت أن تعود بفضل الحج كله، وبثواب الحج كله، وأن تعود من حجّك وأنت بلا ذنب، فاحرص -رعاك الله- على أن يكون حجّك مبرورًا، وذلك بأن تتّصف في حجّك بصفات خمس:

- **أولها:** الإخلاص لله ﷻ، فإن ربّنا سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، وابتُغي به وجهُه، ونبينا ﷺ عندما حج حَجّة الوداع قال: «اللهمّ هذه حَجّة لا رياء فيها ولا سمعة».
- **والصفة الثانية يا عبد الله:** أن تحرص على أن تُتابع رسول الله ﷺ في حجّك، فإن العمل أقرب ما يكون إلى القبول إذا تشبّه فيه العبد برسول الله ﷺ، وحرص على أن يعبد الله كما عبد رسول الله ﷺ ربّه، وقد قال ﷺ في شأن الحج: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حَجّتي هذه».
- **والصفة الثالثة يا عبد الله:** أن تبتعد في حجّك في إحرامك عن محظورات الإحرام، فإن النبي ﷺ قال في الحديث الذي سمعناه: «من حج لله فلم يرفث»، والرفث هو الجماع، وهو أعلى محظورات الإحرام، وفي هذا إشارة إلى أنه لا بد للحاجّ ليكون حجّه مبرورًا أن يجتنب جميع محظورات الإحرام.
- وأما الصفة الرابعة يا عبد الله: فهي أن تجتنب الفسوق في حجّك، أن تتطهّر من الفسوق السابق بالتوبة إلى الله ﷻ، وأن تحرص على عدم الفسق في حجّك، فإن النبي ﷺ قال: «من حجّ لله فلم يرفث و لم يفسق».
- وأما الصفة الخامسة: فهي الإحسان إلى الخلق، لا سيما بإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وطِيب الكلام، فإن هذه -يا عباد الله- مِن أعظم طرق الجنة، ومَن أدّاها دخل جنة ربه بسلام، وقد جاء في حديث فيه ضعف أن النبي ﷺ سُئل: ما بِرّ الحج؟ فقال: «إطعام الطعام، وإفشاء السلام»، وفي رواية: «إطعام الطعام، وطِيب الكلام»، وهذا الحديث حسّنه بعض أهل العلم، لكنّ التحقيق أنه ضعيف، لكنّ معناه مستقيم لِما قدّمناه من ثبوت أن هذه الثلاثة من أعظم طرق الجنة.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واشكروا ربّكم أن جعلكم من هذه الأمة المرحومة، وتمسّكوا بدينكم واعتزّوا به، وأظهروه وأظهروا شعائره، وكونوا -عباد الله- من المسابقين إلى الخيرات.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

اعلموا أن الحج فرض على كل مسلم عاقل بالغ حرّ مستطيع مرة في عمره بإجماع العلماء، ولا يجب الحج على المرأة إلا إذا اجتمعت فيها هذه الشروط ووجدت محرمًا مُطاوعًا يسافر معها.

واعلموا -عباد الله- أن الراجح من أقوال أهل العلم: أن الحج يجب فورًا على من توفّرت فيه الشروط، وانتفت عنه الموانع، لأنه من الخيرات، بل من أعظم الخيرات، وقد قال ربنا ﷻ آمرًا المؤمنين: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨]، ولأن الإنسان لا يدري ما يعرض له، والحج يحتاج إلى سفر، ويحتاج إلى نفقة، ويحتاج إلى قوة، وإن الإنسان إذا أخّر حجّه لا يدري ما يعرض له من مرض أو ضعف أو فقر أو غير ذلك، فالواجب عليه ما دامت الشروط متوفّرة فيه ولا مانع: أن يبادر إلى الحج، ولذا قال نبينا ﷺ: «تعجّلوا إلى الحج» -يعني الفريضة- «فإنّ أحدكم لا يدري ما يعرض له»، وقال ﷺ: «من أراد الحج فليتعجّل، فإنه قد يمرض المريض، وتَضِلّ الضالّة، وتعرض الحاجَة».

فيا عبد الله، يا عبد الله، يا من توفّرت فيك الشروط، ولا مانع يمنعك من الحج، بادر هذا العام بالحجّ إلى بيت الله الحرام، وإياك أن تؤخّر، فإنك -يا عبد الله- إن أخّرت مع توفّر الشروط كنت آثمًا، ويلحقك بذلك ذنب عظيم.

ومن كان قد حجّ الفريضة وهو مستحق للحج، وقادر على الحج، فخير له -يا عباد الله- أن يكون مع المتسابقين من المؤمنين الحريصين على هذا الفضل، فإن النبي ﷺ سُئل عن الحج أفي كل سنة أم مرة واحدة؟ فقال ﷺ: «بل مرة واحدة، ومن زاد فهو تطوّع»، والتطوع خير للعبد يا عباد الله، فإنه يدخل في الفضائل التي سمعناها للحج في سبيل الله.

أمّا من لم يكن مستحقًا للحج، أو لم يكن مستطيعًا، أو لا يستطيع أن يُخرج تصريحًا، أو لا يملك قيمة المخيّمات، فإنه تكفيه النية الصالحة، وإنا لنرجو من ربنا ﷻ أن يكتب له أجر الحج وهو باقٍ في مدينته، فإن المفتى به -يا عباد الله- أن من لا يجد التصريح، أو لا يملك قيمة الحج في هذا الزمان، غير مستطيع، ولا يجب عليه الحج، ولا يُشرع له الحج، وإنما كما ذكرنا، تكفيه النية الصالحة، ورجاؤنا من ربنا أن يكتب له أجر الحج وهو مقيم في مدينته.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

واعلموا -عباد الله- أن البخيل من ذُكر عنده نبيّنا ﷺ فلم يصلّ عليه.

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ ارضَ عنّا أجمعين، اللهمّ ارضَ عنّا أجمعين، اللهمّ ارضَ عنّا أجمعين.

اللهمّ إنا عباد من عبادك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، ونحن لم نرَك يا ربّنا، اللهمّ فارحمنا أجمعين، وأمّنّا من عذابك أجمعين، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا.

اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا، ووسّع لنا في دُورنا، وبارك لنا في أرزاقنا يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجعلنا من عبادك الصالحين الطيّبين، وأن تجعلنا من أهل الفضل أجمعين، وأن تجعلنا ممّن كتبتهم في الجنة يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا جميعًا ممّن أعتقت رقابهم من النار، وأعتقت رقاب آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وذرّيّاتهم وأحبابهم من النار يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربّنا، إنك جمعتنا بأحبّة في مدينتنا، وجمعتنا بأحبّة في بيوتنا، اللهمّ فلا تحرمنا الاجتماع بهم في الجنة يا رب العالمين، اللهمّ فلا تحرمنا الاجتماع بهم في الجنة يا رب العالمين، اللهمّ فلا تحرمنا الاجتماع بهم في الجنة يا رب العالمين.

اللهمّ فرّج عن المسلمين في كل مكان، اللهمّ فرّج عن المسلمين في كل مكان، اللهمّ فرّج عن المسلمين في كل مكان.

اللهمّ أقرّ أعيننا بظهور التوحيد والسنة يا رب العالمين، اللهمّ أقرّ أعيننا بظهور التوحيد والسنة يا رب العالمين، اللهمّ أقرّ أعيننا بظهور التوحيد والسنة يا رب العالمين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.